الجبر وأثره السلبي في واقع الأمة

د. "محمد خير" حسن العمري*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٠/٦/٢٤م تاريخ قبول البحث: ٢٠١١/١/١٧م

ملخص

يعالج هذا البحث قضية الجبر لما لها من خطر عظيم على الفرد والمجتمع، حيث إنها تلغي الإنسان بالكلية وتحيله إلى ريشة في مهب ريح، وتجعل من المجتمع أحجاراً على رقعة شطرنج وتبث فيه التخاذل والسلبية.

والجبرية ليست فئة أو جماعة بادت وانقرضت، بل لها في دنيانا أشباه ونظائر.تغيرت الأسماء والحقائق واحدة، وإن اتخذت أشكالا متعددة.

وأوضح البحث أن هذه الفكرة تناقض النقل والعقل والمصلحة، وتحمل على التواني والتخاذل؛ لأنه لن ينتج عن العقل المكبل سلوك حر وفعل مبدع.

فبداية الإصلاح تبدأ من المعتقد، فهو الأساس ومنه الانطلاق ﴿ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

Abstract

This study tackles the issue of *aljabr*, one of the dangers faced us as individually or communities because it abolish the human totally, and makes him as feather blows by wend father more made the community as chest games moved unwillingly.

Aljabriyyah still appear nowadays in different name and forms so is disappear at all.

This study shows that this idea is rejecting the thinking and abolish the narration and make the person negative in the society.

Rectifying begins from the believe and faith and from it will begin the changing as Allah says in the Holy Quran (Allah will not change the situation of the people until they change them selves).

المقدمة:

إن مسألة الجبر والاختيار، أو القضاء والقدر، أو الإرادة الإنسانية، تصدى لها كل من الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة، وأثارت هذه القضية جدلاً طويلاً؛ لأنها تلامس حاجة فطرية في النفس البشرية، فهي تجيب عن سؤال يخالج النفس البشرية، إن استطاع الإنسان أن يمسك لسانه عن الحديث فيه، فإنه لا يستطيع أن يمسك خواطر نفسه ووساوس باطنه، فكل إنسان يخطر على باله، هل يسير وفق مخطط مرسوم له سلفاً؟ لا يحيد عن مساره ولا يخرج عن مداره؟ أم هو كائن له مطلق الحرية وعموم الإرادة فيما يقوم به أو يمتنع عنه من أقوال وأعمال.

وقد شغل هذا السؤال تفكير الإنسانية جيلاً بعد جيل، فالسؤال عن القدر وارد على ألسنة جميع أهل الملل والنحل والفلسفات، ولا يوجد مذهب من المذاهب إلا وقد تكلم بالقدر "فالإيمان بالقدر ملازم للإيمان بالمعبود منذ أقدم العصور"[1].وإشكالية القدر من الإشكاليات التي عانت منها الأمة الإسلامية، فضلت فيها أفهام، وزلت أقدام، وتعثر في متاهاتها عقول كثيرة كلها رامت الإجابة عن سؤال اضطراري، يأتي أحياناً هامساً خفياً وأحياناً جاهراً جلياً وهو: هل الإنسان حر في أعماله وتصرفاته أم هو واقع تحت سلطان القدر؟ الذي لا محيد عنه ولا مفر؟ فبالحرية تنادي أصوات، وبعكسها تجهر أخرى، واحتدم النزاع بين دعاة الحرية ودعاة الجبرية، فتزعم المعتزلة الدعوة إلى الحرية،

* أستاذ مساعد، كلية الشريعة، جامعة آل البيت.

وتزعم الجهمية الدعوة إلى الجبرية، ونشأت طرق ثالثة حاولت فك الاشتباك وإنهاء الخلاف كالأشعرية والماتريدية، إلا أن الأولى مالت إلى الجبرية والثانية مالت إلى القدرية، وما زال الخلاف إلى اليوم لم تجتمع فيه للمسلمين كلمة، ولا توحد لهم فيه رأي، ولا التقى اقترب لهم فيه نظر. ولعله من أجل هذا كان النبي ﷺ قد نهى عن الخوض في شأن القدر.

وقد حاول البحث الإجابة عن جملة من الأسئلة منها: ما المقصود بالفكر الجبري؟ وهل في القرآن ما يدل على صحة المعتقد؟ وهل تنافي عقيدة القدر واجب الأخذ بالأسباب؟ وهل للسياسة دور في زرع بذر.

وقد جاء هذا البحث في مبحثين اشتملا على ستة مطالب يسبقهما تمهيد ويعقبهما خاتمة.

المبحث الأول: الفكر الجبري؛ مفهومه وأسبابه والرد عليه.

تمهيـــــــد: النهي عن الخوض في القدر.

المطلـب الأول: مفهوم الجبر.

المطلب الثاني: حجج الجبر النصية والرد عليها.

المطلب الثالث: الرد على القائلين بعقيدة الجبر.

المبحث الثاني: آثار القول بعقيدة الجبر.

المطلـب الأول: الجبر وتعطيل الأسباب.

المطلب الثاني: الأثر السلبي للفكر الجبري في واقع الأمة.

المطلب الثالث: الجبرية والمبشرات الدينية.

وأما الخاتمة فقد اشتملت على أهم نتائج البحث.

المبحث الأول

الفكر الجبري؛ مفهومه وأسبابه والرد عليه

تمهيد:

يجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وهذا من أصول الدين، وخصال الإيمان التي لا يصح إيمان العبد دونها، وقد أجاب الرسول ﷺ جبريل عندما سأله عن الإيمان بقوله: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره قال صدقت"(٢).

ولذلك اتفق أهل السنةو الجماعة على أن كل شيء بقضاء الله وقدره، أي سبق به علمه، ومضى به كتابه، وتعلقت به إرادته، وهو خالق كل شيء ومليكه(٣).

إلا أن الخروج عن هذا الإيمان المجمل طريق غير مأمون، يُخشى على من فتح بابه، وولج فيه من الزيغ والشطط والفتنة والضلال.

من أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن الخوض فيه إيثاراً لسلامة العقيدة ونقاء الفطرة وطمأنينة القلب. عن أبي هريرة ﷺ قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب واحمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال: "أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه"(٤). وفي رواية أخرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر فقال: "بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم، تضربون القر آن، بعضه ببعض، بهذا هلك الأمم قبلكم" قال: فقال عبد الله بن عمرو: "ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه"(٥).

الخوض في القدر وقع من الصحابة، لكن لما نهاهم ﷺ عن ذلك، رجعوا وندموا حتى وصل الأمر إلى اغتباط من لم يحضر ذلك المجلس منهم.

وإنما كان نهي الرسول ﷺ لهم عن الخوض فيه، لأن القدر راجع إلى علم الله، وقدرته، وإرادته، وتعلق هذه الصفات بالإنسان وأعماله، وهذا ما لا سبيل للعقل لإدراكه، فإشفاقاً عليه من أن يضل في متاهات هذا الطريق، ويتعثر في دروبه، فيضنيه التعب ويمسه الدوار، نهاه عن ولوجه وإن كثيراً من الفلاسفة والمفكرين –قديماً وحديثاً– قد دخلوا هذا المعترك وبذلوا له كل ما يملكون من فطنة وذكاء، وأعطوه كل ما استطاعوا من جهد وقوة ثم كانت خاتمة المطاف عندهم،

الإقرار بالعجز عن أن يبصروا بعقولهم شيئاً من معالم الطريق في هذا الوجود غير المنظور"[٦].

قال الإمام أو حنيفة: "هذه مسألة استعصت على الناس، فأنى يطيقونها؟ هذه مسألة مقفلة قد ضل مفاتحها، وقال: "إن الناظر فيها كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد نظراً ازداد حيرةً[٧]. وعن وهب بن منبه[٨] أنه قال: "نظرت في القدر، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه"[٩] وذلك "لأن المرجع في سر القضاء والقدر إلى حكمة الله، وحكمة الله تتعلق بالأبد الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، ولا تتعلق بهذه الحقيقة أو بتلك الحقيقة في الزمن الذي يحيط به المخلوقات[١٠].

وإدراك كنه القدر يستدعي علماً محيطاً بكل شيء، وليس ذلك إلا للطيف الخبير.

أما من كانت مدركات عقله محدودة بحواسه القاصرة، فمهما أرجع البصر كرتين أو كرات فلن يرجع إلا بما يرجع به من أنعم النظر في شعاع الشمس ليسلّم في النهاية تسليم العجائز. وأحياناً كما يقول الغزالي "البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة بتراء، والعمى أقرب إلى العلامة من بصيرة حولاء"[١١].

الأساس في مسألة القدر أنها قضية "بديهية" عوملت معاملة النظريات، والبديهي كلما زاد البحث فيه بعد عن الإدراك"[١٢]. والتعمق في هذا الأمر فضلاً عن أنه لم يأت بطائل فإنه "ليس من مقتضى الإيمان وإنما هو من شره العقول في طلب رفع الأستار عن الأسرار"[١٣].

وقد وصل الرازي بعد خوض في القدر شاق، إلى الإجابة عن حقيقة القدر، وحل إشكالاته وسأل: "ما الحيلة في رفع الإشكال؟" أجاب بعدها بقوله: "الحيلة ترك الحيلة"[١٤].

والباحث لا يدعي أنه يملك حيلة يحل بها ما أشكل على الأفذاذ من العلماء، وإن عقولاً عملاقة خاضت هذا البحر اللجي، وسلّمت في النهاية بالعجز، ورضيت من الغنيمة بالإياب، وليس من غرض البحث الإدعاء بأنه قد حل الإشكال، وفض الاشتباك، ولكن غرضه التنبيه على أن هناك أفهاماً حادت بالقدر عن مساره السوي، فنظرت إليه نظرةً شوها عاجزة، فأصابت الأمة بسهم القعود والخمول، وسيطر عليها لون من التسليم والسلبية، مما أسهم في تخلف الأمة وأشاع فيها الغثائية.

المطلب الأول: مفهوم الجبر:

الجبر: خلاف الكسر، وأجبرته على الأمر أكرهته عليه، وأجبرته أيضاً نسبته إلى الجبر، والجبرية خلاف القدرية[١٥] وفي الاصطلاح: معناه أن الإنسان مجبور على فعله، ولا يملك زمام أمره، وليس له إرادة ولا قدره على خلق أفعاله، فهو كالريشة في مهب الريح، وكالخشبة بين تلاطم الأمواج، لا فرق بين أعماله الاضطرارية والاختيارية، فهو والجماد سواء، يختلفان في الشكل والمظهر فقط.

ولا تنسب الأفعال إلى الإنسان إلا عن طريق المجاز، كما يقال: طلعت الشمس، وأثمرت الشجرة، وجرى الماء[١٦].

فالمقصود بالجبرية باختصار "أن الإنسان مضطر في جميع أفعاله اضطراراً لا يشوبه اختيار"[١٧].

المطلب الثاني: حجج الجبرية والرد عليها:

احتج القائلون بالجبر بعدد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، يلوكون بألسنتهم لفظاً، ويعيدون الرواية حفظاً، دون أن يسرى من فقهها في عقولهم شيء، ورأوا أن القول بالجبر ضرورة لسلامة صحة التوحيد.

ومن الآيات التي استشهد بها الجبريون:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىَ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[هود: ١١٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنعام: ١٤٩].

و لَوقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

والآيات جميعا تدور حول معنى واحد، والمعنى الذي تقرره هذه الآيات واحد، قال القرطبي تحت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

أي لاضطرهم إليه جميعاً[١٨].

وقال سيد قطب في تفسير المشيئة: "والمعنى أن الله لو شاء لخلق هذا الجنس البشري خلقة أخرى، فجعله لا يعرف إلا طريقاً واحداً، هو طريق الإيمان كالملائكة مثلاً، أو لجعل له استعداداً واحداً يقود جميع أفراده إلى الإيمان، ولو شاء كذلك لأجبر الناس جميعاً، وقهرهم عليه، حتى لا تكون لهم إرادة في اختياره، ولكن حكمة الخالق التي قد ندرك بعض مراميها وقد لا ندرك... هذه الحكمة اقتضت خلقة هذا الكائن البشري باستعداده للخير والشر وللهدى والظلال ومنحته القدرة على اختيار هذا الطريق أو ذاك..."[١٩] فمشيئة الله وإرادته إذاً لم تشأ غرس الهداية في النفس بحيث تصبح سجية وغريزة وطبعاً، ولو شاء سبحانه لأدخلها عنوة في نفوس الناس وعقولهم[٢٠].

لكنه سبحانه شاء أن يفسح لهم ساحة الاختيار، وشاء للناس أن يمارسوا حريتهم بالإقبال على الهدى والإدبار عنه، فالمقبل أقبل بإرادة الله ومشيئته، والمعرض أعرض بإرادة الله ومشيئته؛ لأن الله شاء لهم أن يكونوا أحرارا في سلوك هذا الطريق أو ذاك، لا أن يلجئهم إليه إلجاءً، ويكرههم عليه إكراها.

وهناك طائفة أخرى من الآيات استشهد بها أهل الجبر، وهذه الآيات تدور حول معنى واحد إذ تقرر أن من قضى الله ضلاله فلا سبيل إلى هدايته، ومن قضى هدايته فلا سبيل إلى إضلاله؛ لأن هذا حكم مبرم وحكم نافذ. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[الرعد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل: ٩٣]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر: ٨]، وقوله: ﴿إِنَّكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[الزمر: ٢٣].

وقد استشهد أهل الجبر بظواهر هذه الآيات إذ حملوها على ظاهرها وفهموا منها أن إرادة الله تتدخل في إرادة الإنسان وتتفاعل في كيانه فتدفع هذا إلى الهدى وتزج ذاك في الضلال، دون حرية أو اختيار[٢١].

ولكن هذا الفهم متعارض مع آيات أخرى تبين أن الله وضع الإنسان على مفرق طرق بين الهداية والضلال، وترك له الاختيار كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[الإنسان: ٣]، وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ١٠]، والإنسان بعد ذلك يسلك سبيل التزكية والتدسية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[الشمس: ٩ ١٠].

إن هداية الله لمن شاء له الهداية وإضلاله لمن شاء له الضلال حقيقة ثابتة تابعة لسنة الله في الهدى والضلال، فمن أقبل أقبل الله إليه، ومن نأى نأى الله عنه، فهداية الله إذاً وإضلاله، من باب ترتب المسببات على الأسباب، والمقدمات على النتائج.

قال رشيد رضا: "إسناد الضلال إلى الله تعالى ليس معناه أنه أجبرهم على الضلال إجباراً، وأعجزهم بقدرته عن الهدى، فكان ضلالهم اضطراراً لا اختياراً، بل معناه أنهم مارسوا الكفر والضلال، وأسرفوا فيهما حتى وصلوا إلى حد العمه في الطغيان، ففقدوا بهذه الأعمال الاختيارية ما يضادها من الهدى والإيمان[٢٢].

فمن سننه تعالى في البشر أن من يتبع هواه ويستمر على ذلك ويدمنه تضعف إرادته فلا تعود تؤثر فيه المواعظ القولية، ولا العبر المبصرة ولا المعقولة، وهذه الحالة يعبر عنها بالختم والرين والطبع على القلب،

فالضلال هنا عاقبة طبيعية لإدمان الأعمال الاختيارية، وقد ضل عن هذا الفهم الجبرية[٢٣].

والهدى أيضاً عاقبة طبيعية فالله يهدي من ينيبون إليه، فالإنابة إلى الله هيالتي جعلتهم أهلا لهداه، وإن الذين لا ينيبون هم الذين يستأهلون الظلال فيضلهم الله، فهو استعداد القلب للهدى، وسعيه إليه، وطلبه، أما القلوب التي لا تتحرك إليه فهو عنها بعيد[٢٤].

وقول **﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾** كقوله: **﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾**.

وقد جاءت الآيات المحكمات تبين أن الله لا يغفر لأهل الشرك كما لا يعذب أهل الإيمان والشكر. قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾**[١١٦: النساء]، وقال: **﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾**[١٤٧: النساء].

وبعد هذه التخصصات لم يجز تفسير الآية بإبقاء المشيئة مطلقه، بحيث نرجو المغفرة للمشركين المصرين، ونخاف العذاب على النبيين والصديقين[٢٥].

وكذلك آيات الإضلال والختم والطبع التي وردت عامة، فقد خصصتها آيات أخرى، فالقراءة الشمولية المتبصرة تستكشف لنا الطريق لينجلي عن سنة ماضية ومنهج عادل، ولا يجوز أن يجنح بنا فهم سقيم وقراءة بتراء إلى قراءة خالية من الحكمة، بعيداً عن العدل والقسط، فالله من أسمائه العدل ولا يظلم ربك أحداً، ومن الآيات الكريمة التي تدل على هذه السنة الماضية:

قوله تعالى: **﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾**[البقرة: ٢٦]، وقوله تعالى: **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾**[الأعراف: ١٤٦]، وقوله: **﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾**[الأنعام: ١٤٨]. وقوله: **﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾**[الكهف: ٥٧]. وقوله: **﴿بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**[النساء: ١٥٥]. وقوله: **﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾**[غافر: ٣٥].

وبهذا نسلم من اجتزاء النصوص، وضرب كلام الله بعضه ببعض. والمنهج السليم يقتضي توقفاً عند الآيات مجتمعة لا عند الآية الواحدة، فالانفراد بمقطع أو نص لا يعطي نظره شاملة بل يعطي صورة شوها. والقرآن عند اجتزاء النصوص يمكن أن يستدل به كل من القدري والجبري، وعلماء الكلام الذين تناولوا الآيات كل على حده جاءت نظرتهم جزئية، وفعلهم تجزيئي، وأحكامهم قاصرة، ولو جمعوا بين الآيات لسلم لله سلطانه وعظمته وللإنسان اختياره وحريته "وهذا هو التصور الإسلامي الذي تنشئه مجموعة النصوص القرآنية مقارنة متناسقة حين لا تؤخذ فرادى وفق أهواء الفرق والنِّحَل، وحين لا يوضع الآيات القرآنية مقارنة متناسقة حين لا تؤخذ فرادى وفق أهواء الفرق والنحل، وحين لا يوضع بعضها في مواجهة البعض الآخر في سبيل الاحتجاج والجدل"[٢٦].

المطلب الثالث
الرد على القائلين بعقيدة الجبر

الإنسان بمقتضى العدل الإلهي، قد منح قدرة بها يفعل ما يشاء، ويذر ما يشاء.

وقد خلقه الله بإرادة وحرية واختيار في ما كلفه به من فعل أو كف.

وكل نصوص القرآن تدل على ذلك دلالة واضحة، واختيار الإنسان أساس لتكليفه ومحاسبته، ومحال أن يكون مجبوراً على فعله ثم يكلف ويثاب أو يعاقب على ما لا يستطيع صرف نفسه عنه[٢٧].

والرد على الذين يتبنون مذهب الجبر من وجوه:

+ أن الله تعالى قد تولى الرد في كتابه الكريم على المشركين الذين تعلقوا بمثل هذه الشبهه. فقال: **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾**[الأنعام: ١٤٨]. وقوله: **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[الأنعام: ١٤٩].

وقد صدقوا في قولهم **﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾**.

وقد أخبر الله تعالى في نفس السورة بهذه الحقيقة فقال: **﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ﴾** وقال: **﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ**

لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ ولكن الله وبخهم لأنهم أخرجوا ذلك مخرج العذر لأنفسهم ولأنهم تعلقوا بالمشيئة لرد الشريعة، ولو كانوا ناطقين بحق مفصحين بصدق لما قرعوا[٢٨].

ذكر البغوي بعد هذه الآية: "إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة، إلا أنهم كانوا يودون عذراً لأنفسهم في ترك الإيمان ورد عليهم في هذا بأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته، فإنه مريد لجميع الكائنات غير آمر لجميع ما يريد، وعلى العبد أن يتبع أمره، وليس له أن يتعلق بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد"[٢٩].

وعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر[٣٠].

قال ابن حجر: فلما عاند المشركون المعقول، وكذبوا المنقول الذي جاءتهم به الرسل وألزموا الحجة بذلك، تمسكوا بالمشيئة والقدر السابق، وهي حجة مردودة لأن القدر لا تبطل به الشريعة، وجريان الأحكام على العباد بأكسابهم"[٣١].

قال الضحاك: لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده[٣٢].

وقد بين الله بطلان مقولتهم ودحضها في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٢٨]، وقال: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾[٢٠: الزخرف].

وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[٣٥: النحل].

وكثيراً ما يجد الدعاة إلى الله صدى لهذه الفكرة في عقول النشء وأدمغتهم، معتذراً عن قصوره وتقصيره، بأن الله لم يكتب له الهداية، ولو شاء الله لم يترك الصلاة، وما شابه ذلك من اصطلاحات وعبارات، يضاهئون بها قول الذين ظهروا في زمن ابن عمر وكانوا يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ثم يحتجون على من يحتج عليهم بأن ذلك في علم الله وقدره[٣٣].

٢ لو صح مبدأ الجبر فأي معنى يبقى للشرائع والتكاليف، وفيما إرسال الأنبياء والرسل، وهل يبقى للبعثة فائدة، وبأي سبب فضل الأنبياء والمرسلين على المجرمين والشياطين، وأي معنى يبقى للثواب والعقاب ما دامت أمور الإنسان ليست بيده، ولا نابعة من إرادته، وإنما هي إرادة الله وحده الذي شاء أن يخلق أناساً للخلاص وأناساً للهلاك، أناساً للثواب وآخرين للعقاب قبل أن يذرءوا، بل وهم في عالم الذر. وقد نقد الغزالي هذا الرأي وبين أنه يلغي التكاليف الشرعية، وأنه يخاف إجماع المسلمين[٣٤].

وقد بين الشيخ محمد الغزالي أن صاحب عقيدة الجبر يزعم أن الحياة رواية تمثيلية خادعة، وأن التكاليف أكذوبة، وأن الناس مسوقون إلى مصائرهم المعروفة أزلا طوعاً أو كرهاً، وأن المرسلين لم يبعثوا لقطع أعذار الجهل ومنع الاحتجاج المفروض، بل المرسلون خدعة، تتم بها فصول الرواية أو فصول المأساة[٣٥].

ولا يخفى ما في هذه النظرة من ضلال وسقم فهم وسوء ظن بحكمة الله وعدله وعلمه.

٣ يلزم من قولهم أن يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وقوم هود وكل من أهلكه الله بذنوبه معذوراً، ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب الله أحداً من خلقه في الدنيا وفي الآخرة، ولو كان القدر حجة لما قطعت يد سارق، ولا قُتل قاتل، ولا أُقيم الحد على جريمة، ولما اقُتص من ظالم باغ، ولما عُوقب معتد، ولا أُخذ لمظلوم حقه من ظالمه، ولفعل كل أحد ما يشتهيه من غير معارض يعارضه فيه، وهذا فيه من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد[٣٦].

٤ إن كان القدر حجة للعبد على معاصيه وتقصيره، فهو حجة لجميع الناس، فهم كلهم مشتركون في القدر، وحينئذ يلزمه ألا ينكر على من يظلمه ويشتمه، لكن

الملاحظ أنه إذا ظلم نفسه أو غيره احتج بالقدر، وإذا ظلمه غيره ظلما دون ذلك سعى في الانتقام، ولا يعذر غيره بمثل ما عذر به نفسه من القدر(٣٧).

وتراه يحتج على ربه بما لا يقبله من عبده وامرأته وأمته إذا احتجوا به عليه في التهاون في بعض أمره(٣٨).

ولو قصر موظف في وظيفته، أو تهاون في بعض الواجبات الملقاة على عاتقه وفرّط فيها محتجا بأن القدر ساقه إلى ذلك، لما قبل منه مسئوله ولبادر إلى عقوبته، ولا يقبل أحد منا ذلك في تعامله مع أهله ومع المجتمع من حوله، فهي إذا بديهية لا يقبلها أحد من أحد.

ه اعتاد كثير من الناس ممن لا يحب أن يتحمل تبعة أعماله أن يجعل من الأقدار حاملات أوزار كي يعفي نفسه من المسؤولية، وإن أحسن وأجاد نسب الخير إلى نفسه؛ فإن وصل عمله متأخراً مثلاً نسب التقصير إلى صعوبة المواصلات وبطئها وإن جاء مبكراً نسب ذلك إلى حرصه ونشاطه، إن أخفق في درس ما نسب ذلك إلى المعلم، وإن أجاد فإلى مثابرته وجهده يعزو السبب.

وقد عدَّ ابن تيمية أربعة أقسام في شأن القدر فقال في شأن شر الأقسام: "إن فعل طاعة أخذ يضيفها إلى نفسه، ويعجب حتى يحبط عمله، وإن فعل معصية أخذ يعتذر بالقدر، ويحتج بالقضاء، وتلك حجة داحضة، وعذر غير مقبول(٣٩).

ويصدق على مِنْ هذا شأنه قول ابن الجوزي: "أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به"(٤٠).

المبحث الثاني
أثر الفكر الجبري على واقع الأمة

المطلب الأول: الجبر وعلاقته بالأسباب:

لما خلق الله الخلائق والكائنات، أودع فيها السنن والقوانين، وأجرى الأمور بنظام تأتي فيه الأسباب على قدر المسببات، وطلب من الإنسان أن يأخذ بالأسباب ويتعرف على النواميس ليحقق نموذجاً أكمل لوظيفة الخلافة التي أناطها الله به. إذ بقدر أخذه بالأسباب وتسخير السنن تكون قوة المسلم وقدرته ودرجة عطائه وإبداعه.

فالعلاقة بين القدر والأسباب تشكل "النظام العام في الخلق الذي تكون فيه الأشياء بقدر أسبابها بحسب السنن والنواميس العامة التي وضعها الخالق لها، لا ما اشتهر عند الجماهير من الناس من أن القدر ما ليس له سبب أو ما يفعله الله على خلاف النظام والسنن(٤١).

وقد بين لنا القرآن الكريم أن "مشيئة الله في خلقه إنما تنفذ على سنن حكيمة وطرائف قويمة، فمن سار على سننه في الحرب مثلاً ظفر بمشيئة الله، وإن كان ملحداً أو وثنياً، ومن تنكبها خسر وإن كان صديقاً أو نبياً"(٤٢)، فسنن الله قوانين ثابتة لا تحابي أحداً ولا تجامل وليًا.ولما قصر المسلمون في الأخذ بالأسباب يوم أُحد وتساءلوا عن الأسباب قال لهم في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾[١٦٥: آل عمران].

فسنته الجارية سبحانه أنه يمد من يأخذ بالأسباب ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٢٠: الإسراء].

وقد كتب النار على أهل النار أيضاً بالأسباب، وهكذا كل قدر قدره الله يكون على أساس مبدأ السببية، فيرفع الله العلم بقبض العلماء، ويهلك الأمم بما تسلكه من سبل الهلاك، وتعز الأمم بأخذها بأسباب العز والظفر، وجعل الله لكل شيء سبباً "وقد كان ﷺ يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب". وقد بين ﷺ أن الأسباب المشروعة هي القدر، وقال لما سئل أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها وتقى نتقيها أترد من قدر الله شيئا قال: "هي من قدر الله"(٤٣).

وقال ﷺ: "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء"(٤٤).

قال ﷺ: لصاحب الناقة الذي استشاره في شأنها: "اعقلها وتوكل"(٤٥).

فقال عمر ﷺ لأبي عبيده لما جاءه خبر انتشار الوباء في الشام، ورأى عمر الرجوع بعد استشارة الجموع، قال له أبو عبيدة:أفراراً من قدر الله؟ قال له

عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان: أحدهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله"(٤٦).

وروى أن عمر ﷺ أُتي بسارق فقال له لِمِ سرقت؟ قال: سرقت بقضاء الله وقدره. فقال له عمر: ونحن نقطع يدك بقضاء الله وقدره(٤٧).

إذ القدر ليس حجة لطرف دون آخر، وقد أجاب ذات اليوم الشيخ محمد عبده فيما نقله رشيد رضا سائلاً أبهم عليه أمر في القدر فقال: "سأل سائل في الدرس: إذا كان الرزق مقدراً فعلام السؤال. فقال الأستاذ: إذا كانت إجابتي أو عدمها مقدراً فلِمِ السؤال؟"(٤٨) فالأقدار تتدافع، والمؤمن يدفع القدر بقدر مثله ولا يستسلم.

قال ابن القيم: "والرجل من يكون منازعاً للقدر لا من يكون مستسلماً مع القدر، ولا تتم مصالح العباد في معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض، فكيف في معادهم، والله تعالى أمر أن تدفع السيئة وهي من قدره بالحسنة وهي من قدره، وكذلك الجوع فهو من قدر ه، وأمر بدفعه بالأكل الذي هو من قدره، ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل حتى مات، مات عاصياً، وقد أفصح النبي عن هذا المعنى كل الإفصاح، إذ قالوا: يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقي نسترقي بها، وتقى نتقي بها، هل ترد من قدر الله؟ قال: هي من قدر الله. وفي الحديث الآخر: "إن الدعاء والبلاء ليعتلجان بين السماء والأرض" وإذا طرق العدو من الكفار بلد الإسلام طرقوه بقدر الله، أفيحل للمسلمين الاستسلام للقدر، وترك دفعه بقدر مثله، وهو الجهاد الذي يدفعون به قدر الله بقدره"(٤٩).

ونحواً من هذا الكلام قال ابن تيمية في شرحه لقول الشيخ عبد القادر الجيلاني (نازعت أقدار الحق بالحق للحق)(٥٠).

وقد قاوم رسول الله ﷺ الجهل بالعلم، والمرض بالعلاج، والكفر والعناد والمعاصي بالجهاد(٥١).

ومنهج الرسول العملي، وسنة المدافعة الربانية تقتضي أن نزيل الشر بالخير، والبدعة بالسنة، والمعصية بالطاعة، فإن القدر يُدفع بالقدر، والتخلف يُدفع بالأخذ بأسباب الحضارة، وإزالة الضعف يقتضي الأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية.

والخطأ في فهم طبيعة العلاقة بين الأسباب والقدر نشأ من ظن البعض أن الله يقدر المسببات مفصولة عن أسبابها، والنتائج معزولة عن مقدماتها، والآثار بغير مؤثراتها.

إن الله تعالى يقدر المسبب والسبب معًا، والنتيجة والمقدمة جميعًا فسبق منه هذا وهذا،

فمن ظن أن أحداً سبق له من الله الحسنى بلا سبب فقد ضل، فهو سبحانه ميسر الأسباب والمسببات جميعًا، ذلك أن القدر يتعلق بكل حادث في العالم، لا يغيب عنه شيء، ويتعلق بالأشياء على ما تكون عليه، فإذا قدّر الله لمريض أن يشفى لم يقدر هذه النتيجة وحدها، بل يقدر أنه يشرب دواء خاصاً أو يحتمي من طعام معين، أو يسلك سلوكًا ما، ويترتب عليه حسب سنة الله أن يبرأ من مرضه ويشفى من علته.

وكذلك إذا قدر الله لمريض أن يموت، أو لسليم أن يمرض، فإن الله يقدر الأمور مقرونة بأسبابها، فإنها كلها داخلة في القدر.

إن قدر الله حق، وقدر الله نافذ، ولكنه ينفذ من خلال السنن التي أقام الله عليها نظام الكون، ومن خلال الأسباب التي خلقها سبحانه وشرعها.

فهذه السنن والأسباب جزء لا يتجزأ من قدر الله الشامل المحيط(٥٢).

وبهذا الفهم يستطيع المجتمع المسلم أن يسعى في سبيل التقدم الصحي والمعيشي مثلاً، مؤمنًا بأن ذلك سبيل من سبل زيادة عمر الإنسان المواطن، وسبيل من سبل خفض نسب الوفيات عند الأطفال والصغار دونما حرج ديني؛ لأن هذا الحرج مصدره فكر المجبرة،

الـذين ينكـرون إمكانيـة التـأثير الإنـساني فـي تقـصير الآجـال أو إطالتهـا بمباشـرة الأسـباب. ولا يخفـى أن متوسط عمر الإنسان في الدول المتقدمة علمياً وصحياً أعلى منها في الدول المتخلفة.

وهـذا الفهـم أيـضاً أدعـى إلـى تحقيـق العدالـة الاجتماعيـة فـي قـضية الأرزاق فتلاحـق مغتـصبي أمـوال الفقـراء والمستـضعفين رافـضين وجـود حقـوق لهـم فيهـا. رافضين المفهوم الشائع لدى جمهور عامة الناس في مثل قولهم: "لا يأخذ أحد سوى رزقه" بالمفهوم الجبري وهي من المفاهيم التي تشيع التكاسل والتواكل وتناهض الجد والطموح، فضلاً عن تسويغها المظالم الاجتماعية التي يعاني منها الفقراء[٥٣].

وفي فهم علاقة القدر بالأسباب لا بد من انضباط فكر الإنسان وتصوره بالمنهج القرآني، وإلا فسوف يضل في متاهات شتى يتيه في أوديتها ويفقد نقطة التوازن.

فمن ناحية فإن شعور الإنسان بعظمة الله وهيمنته وجريان الأمر بمشيئته، عرضة لأن ينتهي به إلى نسيان الأسباب جملة، ونسيان السنن الربانية الجارية التي أودعها الله في بنية الكون وفي حياة الإنسان، تطلعاً إلى تلك المشيئة التي لا يحدها حد، ولا يقيدها قيد، ولا يعود للسعي والحركة معنى ولا ثمرة فقد:

جرى علم القضاء بما يكون

فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق

ويرزق في غشاوته الجنين

ولا شك أن المساواة بين الإنسان المكلف المأمور بالكدح والسعي، وبين الجنين الذي لا حول له ولا طول هو الجنون.

ومن ناحية أخرى فإن شعور الإنسان بانتظام السنن التي يجري بها الكون، وتجري بها حياة الناس، عرضة لأن ينتهي بالإنسان إلى نسيان قدر الله جملة أو إغفاله والتعلق بالأسباب على أنها قوانين حتمية، لا بد أن يؤدي السبب فيها حتما إلى النتيجة.

مما يؤدي بالإنسان إلى التألـه والجحود والطغيان إعجاباً منه بفاعليته إلى حد الفتنة بعمله، والظن إلى أنه يصنع قدره بنفسه، ويتحكم به كما يشاء. وقد كانت الهندوكية والرهبانية نموذجاً للنوع الأول من الانحراف، أقصد السلبية ونسيان الأسباب والزهد في العمل والإنتاج، مما أفضى بهم إلى السلبية والقعود وعدم إيمان الإنسان بنفسه على أنه قوة فاعلة في الأرض أو أن لعمله أثر في الحياة. كما تطلعت إلى فناء الإنسان سواء كان هذا الفناء في الكائن الأعظم، أو فناء الجسد بكبته وقمعه لتتطلق الروح من أساره، أو فناء السلبية في الدير أو غير ذلك من أنواع الفناء. وليس بعيداً عن ذلك مسعى الصوفية إلى الفناء في الذات الإلهية، والطابع الغالب على هذه الانحرافات كلها هو الأسى والكآبة والانحسار داخل النفس، ثم بدى لهم حين اتسع علمهم وزادت غفلتهم أن النفس البشرية تحكمها قوانين حتمية كتلك التي تحكم الكون المادي، وسرت هذه الحتمية في التفسير المادي للتاريخ، كما عند الماركسيين، والتفسير الجثماني للمشاعر كما عند التجريبيين، والتفسير الجنسي للسلوك كما عند فرويد، وغيرها من النظريات الاجتماعية والسلوكية، وكلها تضع الإنسان تحت رحمة أو غضب هذه الحتميات وطغيانها الجائر. كما صارت العولمة والعلمانية المعاصرة إلى النوع الثاني من الانحراف فافتتت بالأسباب، وضخمت من دور المادة والآلة والإنسان، ونسيت الله، وأسقطت القدر من حساباتها، وخيل إلى الإنسان فيها أن العلم هو الإله، وهو القدر، وهو الذي ينشئ كل شيء، ويحكم كل الأشياء، وبيده مقاليد الأمور.

والحياة في الغرب اليوم كلها قائمة على هذه الفلسفة، ومن الكتب التي تؤصل لهذه الفكر ة عندهم كتاب (الإنسان يصنع نفسه) Man makes himself وكتاب (الإنسان يقوم وحده) Man stands alone أي بدون إله ولا قدر[٥٤]. ومن بين فرث ودم تجيء عقيدة القدر في الإسلام نقية بيضاء، فتقرر هيمنة الله الشاملة على كل ما يجري في الكون، وفي حياة الإنسان، ولا

تلغي في الوقت ذاته فاعلية الإنسان، ولا تلغي العمل، ولا تلغي اتخاذ الأسباب.

المطلب الثاني: الأثر السلبي للفكر الجبري في واقع الأمة:

لقد أسهمت السياسة إسهاماً كبيراً في ترويج مذهب الجبر لترفع المسؤولية عن حكم الجور، وأشاعوا ثقافة الصبر على أقدار الله بمفهومه الملزم إذ وجدوا فيه حليفًا ثمينًا لهم، منعًا للاعتراض، وطلبًا للتسليم، وقضاءً على التمرد وبثًا للتخاذل(٥٥).

وقد أشار الماتريدي في ثنايا حديثه عن الجبرية إلى أولئك الذين أضافوا الأفعال الذميمة إلى القدر فلما قُتل عمرو بن سعيد بن العاص في عهد عبد الملك بن مروان، طرح رأسه من أعلى القصر بين يدي جمع من أصحابه كانوا يترقبونه، وقال الذي طرحه لأصحابه: "إن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ"(٥٦).

ولما قَتَلَ هشام بن عبد الملك غيلانَ قال: "لو لم يرني ربي أهلاً لهذا الأمر ما تركنيوا إياه ولو كره الله تعالى ما نحن فيه لغيره"(٥٧).

ومن هنا يتضح لنا أن ضرر اعتناق مبدأ الجبرية على الشخص والمجتمع أنكى من اعتناق مبدأ القدرية، ذلك أن الجبرية تلغي الإنسان بالكلية، وتلغي المجتمع بأسره، فالإنسان ريشة في مهب ريح، والمجتمع أحجار على رقعة شطرنج، والعالم مسرح للقدر. ومن لا يرى لنفسه قدرة ولا قوة فأنى له أن يقاوم الشر والظلم والطغيان.

الجبرية تهرب من المسؤولية والفعل الواجب، وتذرع بالقضاء والقدر، ينتهي بالإنسان إلى تسويغ الشر وتعقيله، ثم قبوله والرضا به، وجملة القول أن الجبرية موٍّغ خطير للرذيلة السياسية والأخلاقية.

وبعد أن يتحول الجبر إلى موروث ديني في الدين الشعبي وتظهر سلبياته العملية، يصبح الجبر السبب الرئيسي في استكانة الشعوب، ومنعها من الثورة والغضب والتمرد والمعارضة والدفاع عن الحقوق، فينتهي إلى الاستسلام والرضا وقبول الأمر الواقع بما فيه من فقر وجهل وتخلف وقهر، ومن ثم ينعدم الإصلاح في الحاضر، ولا يُعد له في المستقبل، ويغيب النموذج التاريخي فيصبح الإنسان خارج الزمان والمكان وخارج التاريخ(٥٨).

وذلك سبب الروح الانهزامية، والفلسفة المخذلة المخدرة، التي تسكت الألسن عن المعارضة، وتشل الأيدي عن المقاومة، وتحجب العقل عن التفكير بطرق الخلاص، إذ لا مناص من القدر المحتوم والقدر المبرم.

وهكذا نجد أن الجبر ليس مجرد فكرة في الرأس، بل تنعكس على طرق العيش، وتحث على الركود، وتودي بحياة الإنسان وفاعليته وكرامته. وأنى لنفس تفقد السيطر ة على ذاتها أن تسيطر على الحياة، وتفكر في أن تملك زمام الأمور.

"إذا كانت النفس أمة فلن تعرف الحرية، ومن النفوس إماء وحرائر... والجبر مذهب لا يصلح لإقامة حياة اجتماعية كريمة، لما فيه من الدعوة على التخاذل والخمول"(٥٩).

والجبرية ليست فئة بادت وانقرضت، بل لهم في دنيانا أشباه ونظائر، فترى جبري اليوم يربط يأسه وضعفه وتثاقله بالقدر الملزم، والأمر المحتم فيرى الطريق أمامه مظلمًا ومغلقًا، وما هي في الحقيقة إلا سلبيته، إذ لا يرى له دوراً، ولا لجهوده فائدة، ولا يرى في الإمكان أبدع مما كان، ولو ولج الباب وصارع القدر بالقدر لرآه مفتوحاً على مصراعيه.

ويرى محمد رشيد رضا أن هذه الفكرة قد "نزعت من الأمة روح النشاط والعمل، ورمتها في هاوية الخمول والكسل، حتى داستها بقية الأمم، وكادت تبتلعها بلاليع العدم"(٦٠).

وقد حاول الاستعمار الحديث بث فكرة القدر بمعناها الجبري لما فيه من التسليم للواقع المتردي، والقعود عن تغيير حال الأمة السيئ. جاء في أول منشور وزعه نابليون بونابرت على المصريين في ١٦ رجب ١٢١٢ هجري.

من أمير الجيوش الفرنساوية خطابا إلى كافة أهالي مصر الخاص والعام إن العاقل يعرف أن ما فعلناه بتقديرالله وإرادته وقضائه، ومن يشك في ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة، وقُدّر في الأزل أني أجيء من المغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا، وإجراء الأمر الذي أُمرت به..."[٦١].

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن من أسباب طول مدة بقاء الاستعمار في بعض بلادنا العربية والإسلامية، ما أصاب الفكر العربي والإسلامي في عهد الاستعمار من الجبرية والتسليم للغالب[٦٢].

وأحيانًا تُبث الفكرة التي تدعو إلى الروح الانهزامية، والتسليم للأمر الواقع بصورة أمثال شعبية وذلك لما للأمثال من نفاذ اجتماعي يدعو إلى الانقياد، ولما لها من دور في تشكيل العقلية والنظرة إلى الحياة[٦٣].

وتجدر الإشارة إلى أن كل الضباط والعاملين في قسم التحقيق في جهاز الشاباك (المخابرات الإسرائيلية) يحفظون عشرات الأمثال الشعبية، ويستخدمونها في غرف التحقيق كي توهن العزائم وتضعف الهمم، وأحيانًا تكون مكتوبة على الجدران بشكل واضح وكبير[٦٤].

ومن الأمثال الشعبية التي تكرس المعاني السلبية التي تدعو إلى الاستسلام: "الكف ما يقاوم مخرز"، "حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس"، "لا تكن رأسا فإن الراس كثير الصداع"، "اللي بصير عالناس بصير عليك"، "امش الحيط الحيط وقول يا رب الستيرة"، "لا تعاند من إذا قال فعل"، "اليد اللي ما بتقدر عليها بوسها وادعي عليها بالكسر"، "الهزيمة ثلثين المراجل"، "مائة مرّة جبان ولا مرة الله يرحمه"، "مائة عين تبكي ولا عين أمي"، "لا تسبح ضد التيار"[٦٥].

واليوم تقدم لنا العولمة على نحو من جبرية جديدة، ليس في مقدورنا حتى التفكير في مواجهتها، فمن أراد التقدم والحضارة فهذا هو المسلك الوحيد والسبيل الأوحد.

وفي محاولة فرض النموذج الأمريكي وإخضاع العالم لهذا النموذج، صهر لثقافات الأمم، وتذويب لخصوصيات الشعوب، وإخضاع العالم لنمط ثقافي واحد. والتسليم بأن هذا هو القدر الذي لا مناص منه، نوع من الجبرية العاجزة والتفكير السلبي.

إن فرض النموذج الأمريكي بأنه القدر المحتوم هو بلا شك يسهم في إشاعة الجبرية السياسية، إذ ليس بمستطاع المفكرين والساسة في ظل النظام الموحد والوحيد، التفكير في تجاوز النموذج الأمر يكي، فالدول مرغمة على دخول الصف، ويراد جعل العولمة قدر اً مقدور اً لا يمكن تجاوزه، فيصار إلى تهيئة النفوس والعقول إلى التسليم، تثبيطًا للعزائم من أن تتطلع إلى عزيمة، فأمريكا لا تُعاند، وإسرائيل لا تُقهر، والعولمة هي قدر العالم فتصير الشعوب إلى اليأس والقنوط والإحباط الذي يولّد في النفس الجبر ودواعيه وتداعياته.

وانتقل الأمر من الأفكار إلى السلع والبضاع والرغائب إذ "المغلوب مولع بتقليد الغالب في كل شيء"[٦٦] حتى صارت زغاريد مادونا ومايكل جاكسون أذان النظام العالمي الجديد.

وفي إيران نفسها أصبحت موسيقى الروك الأمريكية أشهر موسيقى لدى المراهقين من أبناء الطبقة الوسطى، ومن ثمَّفلم يعد بمستطاع ملالي إيران أيضًا نشر سيادتهم على فضائهم الجوي والتحكم فيه[٦٧]. وصار العطش في أرجاء المعمورة يرتبط على نحو مباشر بالحاجة إلى الكوكاكولا[٦٨].

ومن منطلق القيام بالوظيفة الحضارية، لا بد من السعي إلى تنشيط العزائم، وقطع الطريق على المثبطين، وتمهيد بذرة المقاومة الفكرية لمواجهة معركة المصير في الجبرية الجديدة.

ومن خطورة هذا المبدأ أن صاحبه لو أساء في عمل ديني كان أو دنيوي لقلة الإمكانيات وخداجة الذات، لا يرجع إلى نفسه فيقوم اعوجاجها، ويقوي ضعفها، ويبني ما هو متهدم من كيانها وجنباتها، لتقوى على لأواء الحياة، وتقوم بالواجبات المناطة بها على أتم وجه وأكمل

بنيان، بل ينظر إلى القدر وما يصنعه بها وهي منطرحه لا حراك لها، ولا تملك من أمرها نفعاً ولا ضراً.

المطلب الثالث: الجبرية والمبشرات الدينية:

لا شك أن مبدأ الجبرية قد انسحب كذلك على نصوص المبشرات التي تبين أن النصر لهذا الدين، والمستقبل للإسلام، والعاقبة للمتقين، فزادتهم فتوراً وتقاعساً وكأن هذه المبشرات تأتي من غير أسباب ولا مقدمات، مع أن الإيمان بالشيء قوة إيجابية، محركة للعواطف وموجهة للسلوك.

والإيمان بمستقبل الإسلام ونصوص المبشرات لا يعني أن نعيش واقعنا البئيس ننتظر المستقبل الواعد دون الاضطلاع بمسؤولية وظيفة الاستخلاف في الأرض التي أناطها الله بعباده، فهذا نوع من التواكل المذموم والسلبية العاجزة[٦٩].

"إن الإخبار عن شيء من الوحي بأنه سيقع أو لن يقع لا يعني إثبات أي جبر على الحوادث، فهذا علم مسبق مُعطَى للإنسان، كي يقيم حياته، ويحقق غايته، على أساس نظري يقيني. فالوحي يعطي النظرية مسبقًا حتى يكون الجهد كله للعمل. الإخبار عن شيء لا يعني حدوث الشيء، بل يعني يقينًا نظريًا مسبقًا على الإنسان أن يحققه بفعله. إن معرفة الاشتراكي المسبقة بانتصار الطبقة العاملة لا تعني تدخل أية إرادة خارجية تنصر الطبقة العاملة بالفعل، بل تعني إعطاء اليقين النظري اللازم، حتى تقوم الطبقة العاملة بفعل الانتصار. إن إخبار الوحي بأن أمة ما هي خير أمة أخرجت للناس، لا تعني أن هذه الأمة قد أصبحت كذلك بالفعل، بل تعني كشف إمكانية خالصة تتحول إلى حقيقة بفعل هذه الأمة، وتحقيق شرطه"[٧٠].

إن إيمان اليهود بأرض الميعاد من الأسباب التي حفزتهم إلى جمع شتاتهم ولم شعثهم واستقلال تناقضات السياسة وأحبال الناس حتى صار للوعد حقيقة جاثمة وواقع أليم.

لقد نشط الكافرون واستنفروا قواهم، واستفزوا آخر ذرة من عقولهم وبرعوا في العلم والتجارة والصناعة والإدارة، ووقفنا نحن مكتوفي الأيدي ظنا منا أن الإيمان ينتصر بهذه البلادة العقلية، والوهن الحضاري، إن الهروب من الحياة باسم الدين فشل في الحياة وجهل بالدين.

ونهج القرآن أنه حيث ذكر الإيمان أو ذكر المؤمنين ذكر العمل الذي هو الترجمة العملية للإيمان. والإسلام لا يكتفي بأن يدفع عن المسلم الشعور بالسلبية بل شدة بدوافع الحركة الإيجابية كذلك؛ إذ يعلمه أن قدر الله ينفذ فيه وفي الأرض من حوله عن طريق حركته هو ذاته. ومن هنا فإن تخلي العقل المسلم والمنهج المسلم عن دوره في حمل مسؤولياته، والركون إلى القصور والتقصير فيما هو مطلوب منه ومطالب به، واشتغاله بدلاً عن ذلك بالحديث عن أمر الله وكليات أقداره الربانية، والتمني عليه، بوعود النصر والتمكين، لا يستقيم وفطرة الخلق وعقيدة الإسلام، وليس له من نتيجة إلا الانحطاط والتخلف والوبال[٧١].

ونخلص إلى أن نتائج الفكر الجبري خطيرة على المجتمعات والأفراد، لأنها تجعل الفرد شيئاً لا قيمة له، والمجتمع قطيعاً لا وزن له، فهم كالأخشاب بين يدي الأمواج، ولا شك أن من زرع في عقله هذه الفكرة أنبتت في نفسه التواني والتواكل والتخاذل، وقيدت أرجله عن المسير، وجوارحه عن الحركة. ومحال أن ينتج عن العقل المكبل المقيد سلوك حر وفعل مبدع، فالفكر والمعتقد هو المحرك للسلوك. وكما قال صاحب كتاب "قوة عقلك الباطن":

"غير أفكارك كي تغير مصيرك"[٧٢].

فمن قضى على نفسه في متحف التحنيط، فلن يكون له صلة حيوية في دنيا الفاعلية والنشاط، لأنه يكون حينئذ قد بتر شرايين الحياة الفاعلة النشطة التي تصله بدنياه وأخراه، ومن غير أفكاره وآمن بأنه قدر الله وأنه ليس ريشه في مهب الريح، وأن عليه مسؤوليات عظيمة وتكاليف جسام، وسابق الريح، واستعان بالله ولم يعجز، فهو المؤمن القوي الذي يحبه الله ويفضله على المؤمن

الضعيف، وقد كان عمر بن الخطاب يستعين بالله من "جلد الكافر وعجز المؤمن".

الخاتمة:

من أبرز النتائج التي خلص إليها الباحث وأهمها ما يأتي:

١) النظرة القاصرة المبتسرة لمفهوم القدر من الأسباب التي أسهمت في تخلف الأمة وسلبيتها وخمولها.

٢) موضوع القدر شأنه شأن أي موضوع آخر دراسته دراسة موضوعية تقتضي الرجوع إلى جميع الآيات التي تحدثت عن الموضوع وأخذ صورة شمولية، لا أن تجتزئ النصوص، فالاقتصار على مقطع أو نص لا يعطي صورة صحيحة، وبدون الاستقراء تأتي القراءة بتراء، وتكون الصورة مشوَّهة.

٣) النظرة الجبرية ظلم للحقيقة وتصور باطل لا يليق بحق الله لما يحمل في طياته من سوء الظن بحكمة الله وعدله وعلمه.

٤) الجبرية تقتضي إلغاء التكاليف، وعبث الرسالات، واستواء الأحياء مع الأموات، ولا تفرق بين فاعل الإجرام ومن رام الخير واستقام.

٥) الإيمان بالقدر لا يتعارض مع الإيمان بالسنن والأخذ بالأسباب، لأن القدر ينفذ من خلال السنن التي أقام الله عليها نظام الكون، وهذه السنن والأسباب جزء من قدر الله الشامل المحيط.

٦) خطورة الجبر أنه ليس مجرد فكرة نظرية بل تنعكس على الحياة فتبث فيها الخدر والخمول، وتسيطر على الأحياء، وتودي بحياة الإنسان وفاعليته وكرامته لما فيها من الدعوة إلى التخاذل والتسليم والكسل وترك العمل، وكفى به إثماً أنه يسوِّغ الواقع ويبرئ الراتع.

٧) الأصل في المبشرات الدينية أنها بعث للأمة، فهي دعوة لاستنفار الطاقات لتحقيق النبوات لا دعوة للتواكل والسلبية العاجزة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(١) العقاد، عباس محمود، **الفلسفة القرآنية**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص١٣٤.

(٢) رواه مسلم، **كتاب الإيمان**، باب الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (١).

(٣) انظر: السائح، عبد الحميد، **عقيدة المسلم وما يتصل بها**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، عمان، ط٢، ١٩٨٣م، ص١٣٩.

(٤) رواه الترمذي، **كتاب القدر**، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، ج٤، ص٤٤٣.

(٥) رواه ابن ماجه، **المقدمة**، باب في القدر، ج١، ص٣٣.

(٦) الخطيب، عبد الكريم، **القضاء والقدر**، دار الفكر العربي، ص٤٠ ١٥.

(٧) انظر: النشار، علي سامي، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، دار المعارف، ط٧، ١٩٧٧م، ج١، ص٢٤٠.

(٨) وهب بن منبه أخو همام بن منبه، ولد زمن عثمان بن عفان ﷺ سنة ٣٤هـ، وأخذ عن غير واحد من الصحابة، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: **سير أعلام النبلاء**، ج٤، ص٥٤٤.

(٩) الملأ، علي القاري الحنفي، **شرح كتاب الفقه الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص٧٩.

(١٠) العقاد، **الفلسفة القرآنية**، ص١٦٢.

(١١) الغزالي، أبو حامد، **تهافت الفلاسفة**، ص٣.

(١٢) **مجلة المنارة**، مصر، ج٣، ص٤٩١.

(١٣) عبده، محمد، **رسالة التوحيد**، مطابع دار الكتاب العربي، ص٣٣.

(١٤) الزركان، محمد صالح، **فخر الدين الرازي وأرآؤه الكلامية والفلسفية**، دار الفكر، ص٥٤٦ نقلاً عن: نهاية العقول للرازي، ج١، ص١٤٨.

(١٥) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ج٤، ص١٦.

(١٦) انظر: **مقالات الإسلاميين** للأشعري، ج١، ص٣١٢. **وأصول الدين** للبغدادي، ص١٣٤، **الملل والنحل** للشهرستاني، ج١، ص٧٢ ٧٣.

(١٧) **مجلة المنارة**، ج٣، ص٢٦٩.

(١٨) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب، ط٢، ج٨، ص٣٤٢.

(١٩) قطب، سيد، في **ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٩٧١، ٧م، ج٤، ص٤٧٧.

(٢٠) انظر: البوطي، **الإنسان مسير أم مخير**، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٠٠ ـ ١٠٣.

(٢١) انظر: **المرجع السابق**، ص١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢٢) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٩، ص٤٥٩.

(٢٣) انظر: **المرجع السابق**، ج٩، ص٦٣٦.

(٢٤) انظر: في **ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٩٧١م، ج٥، ص٩٣.

(٢٥) انظر: القرضاوي، يوسف، **الإيمان بالقدر**، مكتبة وهبة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٤٩ ـ ٥١.

(٢٦) **في ظلال القرآن**، ج٣، ص٦٨٣.

(٢٧) انظر: شلتوت، محمود، **الفتاوى**، دار الشروق، ط٩، ١٣٩٨هـ، ص٤٧.

(٢٨) الباقلاني، **الأنصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، تحقيق: عماد الدين حيدر، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٢٤.

(٢٩) البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص١٤٠.

(٣٠) انظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ج٣، ص١٤٥.

(٣١) فتح الباري، ج١٣، ص٤٤٩.

(٣٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج٢، ص١٨٨.

(٣٣) انظر: زاد، طاش كبرى، **مفتاح السعادة**، تحقيق: كامل بكري وأصحابه، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م، ج٢، ص١٦٢.

(٣٤) الغزالي، أبو حامد، **الاقتصاد في الاعتقاد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص٥٧ ـ ٥٩. وانظر أيضاً له: الأربعين في أصول الدين، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨٢م، ص١٣.

(٣٥) **المحاور الخمسة للقرآن**، ص٣٥.

(٣٦) انظر: **مجموع الفتاوى**، ج٢، ص٣٠١.

(٣٧) انظر: **المرجع السابق**، ج٨، ص٤٤٦. وانظر ايضاً: ج٢، ص٣٠٠.

(٣٨) انظر: **مدارج السالكين**، ج١، ص٨٩ ـ ١٩٠.

(٣٩) **مجموع الفتاوى**، ج٨، ص٤٤٦.

(٤٠) انظر: نفس المرجع والصفحة.

(٤١) رشيد رضا، **الوحي المحمدي والمكتب الإسلامي**، ط٩، ١٩٧٩م، ص٢٣٣.

(٤٢) **تفسير المنار**، ج٤، ص١٤١.

(٤٣) رواه ابن ماجه، ج٢، ص١١٣٧. ورواه الحاكم في **المستدرك**، ج٤، ص٢٢١. وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤٤) رواه الحاكم في **المستدرك**، ج٤، ص٢١٨، وفي رواية مسلم "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله". انظر: صحيح مسلم، **كتاب السلام**، باب لكل داء دواء.

(٤٥) **سنن الترمذي**، ج٤، ص٦٨٨. وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر، ج١، ص٢٩. وخرجه ابن حبان في صحيحه، ج٢، ص٥١٠.

(٤٦) البخاري، كتاب الطب، باب من خرج من أرض لا تلائمه، حديث رقم (٥٧٢٧).

(٤٧) ذكره ابن تيمية في مناهج السنة، ج٢، ص٥٩.

(٤٨) **تفسير المنار**، ج٢، ص١٧١. وفي علاقة القدر بالأسباب وتطبيق ذلك على قضية الرزق. انظر: بحث د. شريف الخطيب، ود. راجح الكردي (بين الإيمان بالقدر ولأخذ بالأسباب، دراسة عقدية تطبيقية) والجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج٢، ع١، آذار ٢٠٠٦م، البحث الأول.

(٤٩) ابن القيم، ممد بن أبي بكر، **مدارج السالكين**، دار الكتب العربي، بيروت، ١٩٧٣م، ص٩٩ ـ ٢٠٠.

(٥٠) انظر: **مجموع الفتاوى**، ج٨، ص٥٤٧.

(٥١) **عقيدة المسلم**، ص١٤٨.

(٥٢) انظر: **الإيمان بالقدر**، ص٤٩ ـ ٥١.

(٥٣) عمارة، انظر: **المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٧ ـ ١٢٠.

(٥٤) انظر: قطب، محمد، **مفاهيم ينبغي أن تصحح**، دار الشروق، ط٤، ١٩٨٨هـ، ص٢٦٩- ٢٧٣. وانظر: الإيمان بالقدر للقرضاوي، ص١٠، ٣٦.

(٥٥) انظر: أبو خاطر، هنري، **نظرات في الحتمية والجبرية والحرية**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م، ص٢١- ١٢٢.

(٥٦) انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **الإمامة والسياسة**، طبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٢٢. وانظر: المتاريدي، أبي منصور، كتاب التوحيد، ص٣١٨.

(٥٧) القاضي عبد الجبار، **فضل الاعتزال**، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، ص١٤٣.

(٥٨) **من العقيدة إلى الثورة**، ج٣، ص١١٥.

(٥٩) انظر: المحاور الخمسة في القرآن، ص٥١.

(٦٠) انظر: مجلة المنارة، ج٣، ص٢٦٩.

(٦١) انظر: www.new.egypt.com.

(٦٢) انظر: جيدل: عمار، بحث بعنوان: **العولمة الجبرية الجديدة** في المؤتمر الفلسفي العربي الثاني لبيت الحكمة بعنوان الفلسفة والإنسان العربي في القرن الحادي والعشرين، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١م، ص١٥. وانظر: www.biblidislam.net.

(٦٣) انظر: الفياض، د. محمد جابر، **الأمثال في القرآن الكريم**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥م، ص٨٥.

(٦٤) انظر: العجلوني سلطان، **عوائق في وجه النهضة**، مطبعة روزانه، ط٣، ٢٠٠٨م، ص٣٤.

(٦٥) انظر: المرجع السابق.

(٦٦) انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**، تصحيح وفهرسة: أبو عبد الله السعيد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ج١، ص١٥٦.

(٦٧) المرجع السابق، ص٥٣.

(٦٨) انظر: المرجع السابق، ص٦٠.

(٦٩) قال الألباني: إنّ كثيراً من المسلمين قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي، وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة،... وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقًا، بل هي كلها لا تخرج عن أن "النبي ﷺ" بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه ﷺ فكما أن ذلك لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد وعمل لإقامة حكم الله في الأرض... فماذا عسى أن يفعل لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً... فالشرع والعقل يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم والله يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٠٥: التوبة]. الألباني، ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف، الرياض، ط٤، ١٩٨٨م، ج٤، ص١٥٥.

(٧٠) **من العقيدة إلى الثورة**، ص٩٦- ٩٧.

(٧١) انظر: أبو سليمان عبد الحميد أحمد، **أزمة العقل المسلم**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩١م، ص٥٣- ١٥٤.

(٧٢) جوزيف ميرفي، **قوة عقلك الباطن**، نشر وترجمة: دار جرير للنشر والتوزيع، الرياض، ص١٣.